تعريب العلوم الإنسانية

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود [illegible]

([illegible])

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سمة من سمات التراث العربي [illegible] منذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية [illegible] ما أُنتج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت [illegible] دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان [illegible] وعنوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرّم في [illegible] القرآنية ، كما لم يُكرَّم في اي نص . فضلا عن [illegible] الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد رَكّزت تركيزا [illegible] الانسان ، حتى ليصحّ القول إن من خصائصها الاولى [illegible] بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والقوانين الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا ان يستعرض النتاج الفكري لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والانشغال المستمر في احاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى ان شأن الدراسات الانسانية عند [illegible] امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات الانسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في حين ان الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، انها نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولهذا فان قيَم الامم وثقافاتها وقواعد

لخلاصة ، اننا نقرأ فيما يصدر عنها من دراسات انسانية ، قبل اي نوع آخر من الدراسات . ومعنى ذلك ان العلوم الانسانية لاية امة ، ينبغي ان تكون منبثقة من ذاتها ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الامة لاخطار كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتها حضاريا في امم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلق كل امة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فلا تطلع على ما لدى الامم الاخرى ، وانما المقصود ان يُكيَّف ما يؤخذ عن الآخرين مما يُستَحسَن ويُقتَبَس، حتى يصطبغ بصبغة الامة المقتبسة ، ويندمج في بُنائها وقيمها ، لكي يكون عنصر إثراء وافناء ، لا عنصر تسلّط وطغيان .

واقد مرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عند الآخرين ، حينما اختلطوا ازمن العباسيين بشعوب اخرى ذات تراث حضاري عريق ، فترجموا من كُتُب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا من كتب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانوا قادرين على ان يستوعبوا ما اخذوه عن الفرس واليونان معا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهم كانوا في مرحلة ثقة عارمة بالنفس جعلتهم قادرين على ان يطوّعوا ما يأخذونه عن الآخرين لعقيدتهم وقيمهم ، بعد ان طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهم اذ ذاك بانهم كانوا يدينون بخير عقيدة ، ويتكلمون خير لغة .

ومع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العرب في تلك الحقبة عن الآخرين في نطاق العلوم الانسانية ، يرى انه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امر طبيعي متوقّع، لان ما كانوا يفتقرون اليه من العلوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسّ ،

كما ذكرنا آنفا ، ذوات الامم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين ان امتزاز العرب اذ ذاك بما لديهم من قيم انسانية منبثقة من عقيدتهم ، كانت تشعرهم انهم في غنى عما لدى الآخرين ،

وانهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبهم ان ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي ان نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا تقة اتصالنا بالغرب ، بل على النقيض من ذلك ، كنا — وما نزال لسوء الحظ — نشعر بتفوق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق الدائم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية نخشى ما نأخذ ، نتعرض ، اذا لم نُحسن التنبُّه ، الى مخاطر ابتذال قواعد محلّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية اخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد ان كادت حضارة الغرب ، بما تزال لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد ان وُلدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاستلاب عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق عن هذا الشعور من سوء ظن بالنفس ، ونقد قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال ان القضية غير قائمة اصلا ، او هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلح على تسميته بـ « العلوم الانسانية » ، تُدرَّس فعلا باللغة العربية في الاقاليم الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ، ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يمكن

يوسعنا القول بان هذه العلوم معرّبة عملا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ — ان اللغة التي تدرّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات اجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الوحدة ، التي يفهمها ابناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ — ان المصطلحات التي تُستعمَل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى اخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بالفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تَلقّى فيه استاذ المادة تعليمه .

٣ — في كثير من الجامعات العربية ، لم تُجرِ محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربي مقابل سَبَقَ أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن ان تتوافر في مفردة جديدة على الاذن العربية .

٤ — وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك التفاعل الخلفية الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر اوروبي او امريكي ، ولا مدى تواؤم هذه المادة مع المجتمع العربي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي ان يكون على علم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقدَّم المادة الى الطلبة ، وهي على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، ومدى تواؤمها مع مجتمعهم .

٥ ـ وقد يحدث ان يكون الناقل ـ مدرسًا كان ام مدرسة ـ لا يتعامل فكريا ووجدانيا مع المجتمع العربي الذي ينتمي اليه ؛ بل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمع ، وما ارتبط به من نُظُم وقواعد وقِيَم ، ومن التطورات التي مر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هم مدرسو العلوم الانسانية الذين تلقت جميع دراساتهم التالية للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبية لا تُعنَى اساسا بالمجتمع العربي ، بل قد لا تعامل ما يرتبط به وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي من هذه الجامعات وهو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انه يعرف بحكم دراساته الشيء الكثير عن المجتمعات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلده الاصلي بعد جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل عليه الى طلبته ، ان طبيعة المادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

والخطر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تعامل القيم والقراءات السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيم والقواعد احيانا ، يُحدث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوس فئة كنفوس الطلبة ، تكون في دور التطلّع الى القيم والمثل والانتماء التي تتبنى عليها الدراسة الواحدة في البلد الواحد ، او الانتماء الواحد في الامة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبة العرب ، وامة العرب .

التعريب في صورته الصحيحة :

ايّ نوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردنا تعريبا سليما بريئا من الثغرات والمحذورات المذكورة آنفا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات،كما اوضحت آنفا ، هي ، الى حد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريده للعلوم الانسانية التي

تدريس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، يقتضـــي ان يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب يقتصر على ان تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة الحـــالية ، بل لا بـــد كذلك من ان تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، ان اللغـــة العربية يمكن ان تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يُنشَر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه ان يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من اي نوع انـــه قادر على ان يجد المرجع الـــذي يقـــرأ فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما انـــه قادر على ان يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

المـــدرس :

كثيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في بعض المواد دون اخرى ، هو امنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غير قادر على ان يدرّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد ان تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان ومـــا يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مؤهلا لان يُدرّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر ان يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول يعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثير كثيرا التمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ــ اذا افترضنا اولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقا ، لانه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد المدرسين العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تقلص الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بان يستبدل به مدرسون عرب ، وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا باس من ان يدرّس جزءا من المنهاج في اطار تخصصه باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرس اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية بلغها مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مادة النصوص الانشائية المكتوبة بتلك اللغة .

٢ ــ اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس باللغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتفق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الرئيسيتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب باللغة الاجنبية الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعي على أن يدرس باللغة العربية ؛ ويُرَدّ على ذلك ما يلي :

ا — لا يمكن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمع عربي ، ودرس مدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العام باللغة العربية (هذا اذا لم يدرس بعد ذلك في اية جامعة عربية) يمكن أن يكون اعجميا غير قادر على الابانة ، لمجرد انه قضى بضع سنوات من عمره في بلد اجنبي . وحتى ان تَعَثّر هذا المدرس في بداية تدريسه بلغته القومية ، فان الممارسة والمران كفيلان بأن يزيلا هذا التعثّر تدريجيا ، الى حين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ ما ينبني على التعليم باللغة القومية من آثار ايجابية على المتعلمين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهم القومية أضعاف تفاعلهم مع افكار تقدَّم اليهم بلغة اجنبية .

٢ — وحتى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر وطلاقة في اللغة العربية ، يُقترَح ما يلي :

ا — استحثاث هؤلاء المدرسين على مطالعة الكتب المكتوبة بالعربية ذات العلاقة بتخصصهم ، ولا سيما كتب التراث العربي ، التي تقدّم لقارئها افكارا ومادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بما في ذلك المصطلح الفني العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس، بالطبع ، أن يستفيد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانية .

ب — اتاحة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المواد في الجامعات العربية ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهد باستعمال اللغة العربية في التدريس ، ان يشهدوا تدريس هذه المواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسها

باللغة العربية ، وان يشاركوا هم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لكلية الجامعات العربية في الهند باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرسيهم ، فرصة الاستماع الى مدرسين زائرين ألفوا التدريس بالعربية ، وهم يحاضرون بهذه اللغة .

جـ — تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُكَرَّس لمدرسي العلوم الانسانية ، ويُعْتَمَد فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، فتكون هي المحور الذي يُنطَلَق منه في عملية التدريس ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعثر مشافهةً وكتابةً بالعربية ، وبما لذلك الالفة بالنمط العربي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقد يُدخل في هذه الدراسات كذلك اعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغة العربية .

د — وقد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، ان يحاضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للاستماع الى اساليب تدريس العلوم الانسانية التي تتسع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان هناك الكثير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما وأننا نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .

المصطلحات :

ومن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقا من فكرة سائدة ،

مؤداها ان المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما ان مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا امكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الامة العربية ، ان تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا ان نتجاوز هذه الصعوبة كذلك . اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخطّطنا لايجاد حل لها ، على اساس العمل الجماعي المنظم .

واول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف الكثيرين من ابناء اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والانبهار باللغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشان اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، او على اكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبتين عن الحياة العلمية .

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن ان نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخّصها فيما يلي :

١ ـ ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي ، في الواقع ، اقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ ـ ان تراثنا العربي ، بدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافل بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، [illegible] الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي [illegible] على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ [illegible] انها قد اكتسبت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون لالفاظ اخرى ، [illegible] انها استخدمت في ظل حضارة وقيم عربية ، وعالجت [illegible] في الحياة .

٣ ـ واذا عز اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الممكن ان يُنظر في تلمس المصطلح العربي المماثل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تنتمي الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح . فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يتكون لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ، ان كانت لغته ذات عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ـ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصصه ، تُلتمس هذه المصطلحات في المعجم [illegible] المتخصصة ، ومن ثم تُلتمس لها المقابلات العربية .

٥ ـ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُقسّم [illegible] فرع من فروع العلوم الانسانية تراتبيّ تناسبي [illegible] الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم [illegible] العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على [illegible] ويضم بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، [illegible] المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم الكبير معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، فـي فترات زمنية متفق عليهـا .

٦ ـ ومن البين من البيان ، ان جهودا كهذه لا يمكن ان تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد من القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم التطبيقية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي او اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـن العربـي كلـه .

٧ ـ والتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعُدُّ مجهولة لمـن شاركوا في اعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظمـا وتشرف عليها في العالم العربي ؛ وهي كما يلـي :

أ ـ تقسيم المهمة المحلية في بلـد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه المهمـة ، غالبا ما تكون مُجْمعا للغـة العربية ان وُجـد ، او جامعة ، او اية مؤسسة معنية باعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب ـ تُرسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة التربية والثقافة والعلـوم .

جـ ـ تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العلم الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، ويناقش مقترحات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثق من المؤتمر ، وتختص كل منها بمادة من المواد .

د ـ يُمثّل ما اتفقت عليه هذه اللجان تعديلا على ما ورد في المعلم العربي لمصطلحات معينة . وإذا تابع هذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلد عربي ، في جامعاته ومؤسساته المختلفة ، يكون ملزما اديبيا بالاخذ بها واستعمالها .

هـ ـ وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مواد العلوم المختلفة ، ينبغي أن تُطبع في مجلد فني يضمها جميعا .

ولا بدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذله مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة منظمة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلا عن نشره مائة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق اعمق واوسع في البلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصين ، لم يستفيدوا ، او لم تتح لهم فرصة الاستفادة ، من ما نشر حتى الآن .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات اللغوية ، ان يُتّفق على ان نوضع في نهاية كل كتاب يُترجم الى العربية من اللغات اجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية التي استعملت في الترجمة ، لان في ذلك فائدة لقارىء اللغة الاصلية ، ولان حصيلة هذه القوائم ستتكون من الروافد التي تزيد حصيلة التعريب المستمرة .

المنهـــاج :

قـد يبـدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـوم الانسانية امـرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـا تعريب هذه العلوم بالمعنـى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـوم الترجمة ونقـل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريـب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـى السواء . ونحن اذا استعرضنـا مناهج التربية وعلـم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـل المثـال ، فاننا كثيرا ما نجد في هذه المناهج مـادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـة او اشكال تطبيقها ، او عـن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أنجـز في هذا الميدان من دراسات ، او مـن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـن استخلاصه من النظرية والتطبيـق .

ثم ان هذه المناهج ، قَـلَّ ان تُركِّز على المجتمـع العربـي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـه ، وتَلَمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـرد دراسات نظرية ، بل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الباحث ، لذا هكـذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـون في الجامعات العربية دراسة المجتمـع العربي في حاضره وماضيـه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعـات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفهَم منه ، ضمن مـا يُفهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـي والمجتمع العربي ، من اجـل صياغة الفكر العربي والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـوم ، دون غيرها ، هي التي تحـدد هويـات الامـم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـي ينتمون اليها : بتراثهـا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـا نحـو المستقبـل .

واذ ندعـــو الى ان تعالج في مناهج العلـــوم الانـــانية قضايـــا الانسان والمجتمع العربيين ، لكـــي لا تكون هذه المناهج نُسَخًا عـــن مناهجَ وُضِعت لمجتمعات غير مجتمعنـــا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عـــن العالم الخارجي ، وما تَوَصَّل اليـــه هذا العالَم من افكار ونظريات تتعلّق بهذه العلوم ، ومـــن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلـــك يتوقف في تناوله بالقدر الذي يمكـــن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنـــا ، بحيث لا يَتَنَكَّر لمطالب التربية،مثلا ، انـــه يعالج امور التربية في امريكا ، ولا يشعر لمطالب الاقتصاد ان قضايـــا السوق الاوروبية المشتركة ، لا تطغى على القضايـــا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد الذي يعيش فيـــه .

ولمـــا كان مدرِّس المـــادة في الجامعة هو الذي يضع ، في الغالب ، منهاج مادتـــه ، فانه مدعوّ الى ان تكون هذه المـــادة بمرتبة الاحتمالات بالدرجة الاولى ، مـــع ضرورة الالمام بأيـــة نظريات او قوانين عامة ذات علاقة يستفاد منهـــا جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة يستفيد منها الباحث للوصول الى الحقائـــق .

الترجمـــــة :

عمليـــة التعريب في العلوم الانسانية ، كمـــا في اي نوع من انواع التعريب ، تقتضي ترجمة كتـــب اجنبية كثيرة الى اللغـــة العربيـــة .

وتلـــك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليـــل . ولكن يبقى ان نتســـاءل عـــن نوعية الكتب التي تُترجَـــم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانـــه لا يمكن ان يُترَك امـــر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكـــي يختاروا ما يشاؤون منهـــا ويترجموه كما يشاءون .

ولعـــل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة مـــن التصورات في هذا الشـــأن :

ا ـ تتكون باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يختص كل واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضم اعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهات الكتب في الموضوع المعني ، من اجل نقلها الى العربية .

ب ـ يتكفل كل بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثلة في الاتحاد ، ترجمة نسب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللغة الاجنبية الشائعة فيه .

ج ـ تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حيثما وجدت ، ومع اية هياة او افراد يمكن ان يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د ـ تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بان تقتني منها في مكتباتها ، وبان تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ ـ تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من اجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و ـ يوصى بان يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها اعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز ـ لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد ان تنشا في كل جامعة عربية ـ كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الانفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ح ـ ايضا ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يتم نشرها على نفقة الجامعات ، ومجامع اللغة العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط ، اذا ارادا من ازدواج الجهد والنفقات .

ويجدر القول هنا إنّ لمجمع اللغة العربية الاردني تجربة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتب العلمية ، اذ اختار المجمع ، بمعونة المختصين في كلية العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتب التي تُدرّس للسنة الاولى في اقسام الكلية المختلفة ، وكلّف مجموعة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ترجمتها . وقد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربية جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن الله ، قبل نهاية عام ١٩٧٦/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجم ، تضم المصطلحات الواردة في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقد أحيطت الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم علما بذلك . والمتوقع الا تقتصر الاستفادة من هذه الترجمات على جامعتي الاردن ، بل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فاذا استطاع المجمع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يترجم هذه الترجمات وينفّذها ، فان الامكانيات المتضافرة للجامعات العربية كفيلة بان تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمع . والامل معقود على ان تساعد هذه الكتب المترجمة على اليسر في اقرب وقت ممكن والتحول باللغة العربية في كلية العلوم في الجامعة الاردنية .

وبما أن تتبّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يكون عادة فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جدا ان تتبنى توصية المؤتمر قد اتُخِذَت في حلقة الترجمة التي انعقدت في الكويت عام ١٩٧٢ ، وهو ان تَصْدُر عن المنظمة مجلّة علمية ، تُنشَر فيها ترجمات البحوث التي تتخيّر لاهميتها ، ومثل هذه المجلة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيها الاساتذة المختصون في ايما جامعة من الجامعات العربية .

الحزن لنسان يتمتع بحساسية غير عادية ، تجعله يتعاطف مع احداث الحياة الانسانية بدرجة عالية .

والقصيدة التي يستعملها مرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمر بها دون ان نحس بها ، واذا احسسنا بها ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية ، تثير فينا الامل ، والتفاؤل ، والاعجاب .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر مرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف ان الشعر ذاتي ، والشعراء يعبّرون عن احاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بها في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، اما البحث عن الحقيقة فغاية العالم .

ان الشاعر لا يعرض انا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرها بفضل ملكة الخيال التي وُهِبَها ، ويكوّن منها عالما فنيا موحّدا . ومنذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر ان يرى ويرصد الظاهر المختلفة لهذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبّر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء اتفقنا بعد قراءة الشعر إننا نوافق الكاتب في رأيه ، ام لا نوافقه ، لان الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم ان قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة ، قد تكون اعمق واوضح ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صفحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

ولنقف في شعر مرار عند دائرة التأثر ، ونبقى فيها الى ان نصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من مستطلعات بعض الشعراء

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لـو كان الطلبة قادرين ، من الناحية اللغوية ، على استيعاب المادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وهنا اود ان اتحدث عن تجربة عمليـة في الجامعة الاردنية ، تُذلّل الكاتب بعض السطور الاطلاع عليها عن كثب ، حين كان يمثل منصب عميد البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة المذكورة . تمثّلت في اتاحة الفرصة لاساتذة الجامعة لأن يتقدّموا بطلباتهم الى مجلـة علمية تصدر عن العمادة تحت اسم ( ) ، يُعتبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتب الاكاديمية ، والتي فيما يُقدَّم للنشر فيهـا في اطار العلوم الانسانية ، ان يكون باللغة العربية دون غيرها ؛ كمـا تمثّلت في اتاحة الفرصة لاعضاء هيئة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـم تدعمها العمادة ماديـا ، في اطار ميزانية دعـم البحوث العلمية .

وقـد يصل الدعم بالنسبة الى الكتب المميّزة ، الى حـد قبول كلّيّـةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلف ، وذلك في اطـار دار النشر التي انشئت في العمـادة ، وبميزانية خاصة . وغنـيّ عن البيان ان المؤلفات التي تدعمها العمادة لا بد ان تكون هي الاخرى من سبـل الارتقاء في المراتب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انـه عندما يواجَهُ استاذٌ عالـم من العالم الاسلامي بحاجته وحاجة طلبتـه الى المراجع العلمية ، في تلسلّ متابع يشغلها هو لتسدّ احتياجات المجتمـع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـة ، وحين يَجِدُ هذا الاستاذ ان مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـي والنشر ، وتهيّء لـه اسباب الترقية في جامعته ، فـان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـه الى ان يكتب بوتيرة اسيلة ، او يُعِـدّ ترجمات لنشرها في مجلـة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـادة اختصاصه وهو مطمئن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـد من متطلبات ، قد يعجز الكثير عن تأمينها . والواقع ان المجلـة التي تصدر عن سلسلة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد ان يُقوّمها المختصّون .

تكرار هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة فريدة لان تعمّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتأليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر ان ما كان يصدر من المادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلّها سيُغني اثراءً المكتبات هذه الجامعات ، وتأمينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلّمات ، ان الطالب العربي يفضّل ان تكون دراسته في العلوم الانسانية ، وليه علوم اخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

ولهذا فاننا لا نحتاج الى ان ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي أن نتلمّس الدور الذي يمكن لهذا الطالب ان يضطلع به في عملية التعريب ؛ وبديهيا ان الطالب الجامعي الآن اصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، بمعنى ان له دورا في العملية التعلّمية ، ولم يُعد مجرد متلقٍ للمعارف من اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع اساتذة الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي ان يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

أ - ان يعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء اكانت كتبا تراثية ، ام كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة البلدية ، او بليهـا مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقـد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المصطلحات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتب التراث العربي الاسلامي والعلوم الانسانية ، ثم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بها .

جـ ـ وقـد يقوم الطالب ، من ناحية اخرى ، بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هـذه العلوم ، بتجريدها من كتب انجليزية او فرنسية ، حسب اللغـة الاجنبية المستعملة في جامعتـه .

د ـ وقـد يُكلَّف ترجمة فصل او فصول من كتـاب اجنبي ، ليتمرّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هـذه العلوم ، ويألف مصطلحاتـه في غيرها لغـة واحدة .

هـ ـ ويمكـن ان يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحـوث باللغـة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربيـة واجنبية ، ثم يناقش هذه البحوث مع زملائـه تحت اشراف استاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هـو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلوم مثـانهة ، مثلمـا يتدربون على معالجتها كتابـة .

و ـ وفي نطـاق الدراسات العليا التاليـة للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّـه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغـة العربية ، كما يجري الآن عملا في معظم الجامعات العربيـة ـ ويُشجَّعون على ان يعتمدوا ، في مـادة رسائلهم هذه بصورة اساسية ، باللغة العربية في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وان يبرزوا ما لهذه اللغة من اصالة اسلامية فيمـا يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعالجات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشان مـا يعالجونه في دراساتهم ، مع الاستفادة الكاملة من ايـة نظريات او دراسات او ممارسات موجودة في اي مجتمع من المجتمعات العالميـة .

وقد يكون من المناسب ، ان استفيد من ملاحظة وردت في ورقة قدمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمر التاسع لاتحاد الاساتذة العرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظة ، انه ينبغي الا نرى العالم من حولنا ، او نرى انفسنا بعيون انجليزية او فرنسية . وهنا قد نحتاج الى التذكير بان اللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانما هي كذلك طريقة لاحساس وتفكير .

ب ـ وفي البلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغة الاجنبية ، لا بد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانوي قبل ان ينتقل الطالب في تلك البلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من الخلف لمابائع الاشياء ان نستعين بالطالب الجامعي الجديد في عملية التعريب ، وهو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافته .

القرارات والتشريعات :

من الممكن ان يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مدة نصف قرن حول تعريب هذا التعليم ، وان ينقسموا بين محبِّذ ومعارض ، دون ان يُسلِّم اي من الفريقين حججا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قد اجملنا في هذه الكلمة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيدة للتعريب ، اعتقادا منا بان تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بدّ من القول بانّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أصَدَرَ هذا القرار من السلطة العليا في الدولة العربية ، ام من وزارة تعليم عال ، ان وُجدت ، ام من ادارة كلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع اعضاء هيئة التدريس امام الامر الواقع ، فانهم سوف يواجهون مطالبته ، ويؤدّون له ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونها ، سيعالَج من خلال التكيّف بعد ممارسة التجربة،لا قبلها ؛ فنحن لا

نستطيع ان نتكيف مع اوضاع لسم نمارسها املاقا ، ولا يمكن لتمرس من شيء ان يزول الا بعد ان يُمارَس ذلك الشيء فعلا ، وغالبا ما يُتبيّن ان ما تهيّبنا منه كان مبالغا فيه . واذا كانت التقانة اللسنية اللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا توجد سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يستدرج من بعض المناقشات ان عالمنا كالعالم العربي ، بوضعه الفريد ، والمتقلب الاقتصادية الماثلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريقة ، وبما له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتهيّب الانتقال في تعريبه ، مع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الامم انما ترتقي بلغاتها القومية ، وان الذي يكسون عالة على لغة اجنبية فيما يتعلق بعلمه ويكتبه ، يكون كذلك عالة على الناطقين بتلك اللغة فيما يعلمه بل فيما يفكر فيه .

خاتمة :

وفي النهاية ، اسمح لنفسي بان استفيد مباشرة من فكرتين اوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدّمه الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقد في بغداد في اذار سنة ١٩٧٨ ؛ واولى تلك الفكرتين تتعلّق بالدعوة الى التعليم بسبل متكامل ، يُرصد مراحل تطوّر امتنا دون اهواء او تزوّدات ، كل على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديم النظريات العلمية الحضارية الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة للنظريات الغربية التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، وتمييعه وتشكيكه في ارضيته .

والهدف من الفكرتين واضح ، فهو يتمثل في استبانة المعالم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت به امتنا ، حتى نتراءى تلك المعالم بصورة موضوعية في احجامها الحقيقية ، وفي تكاثرها الذي كيلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلك في

الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّب المزالق ، فيأخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعه دون ضرره ، مما يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة من اقتداء جاهل او تبعية غير مبصرة .

الدكتور محمود ابراهيم